دراسات في الأدب الخليجي

د/ علي عبد الخالق علي

سمات أصالته وقضاياه وأعلامه

(١)

تعد منطقة شرق الجزيرة العربية محوراً أساسياً في التقسيم الحضاري ، والجغرافي ، والأدبي للوطن العربي ؛ وهي المنطقة التي يمكن أن نطلق عليها (المشرق العربي) بالمقابل للمغرب العربي ؛ ونعني بها ذلك الامتداد القائم على ساحل الخليج العربي ؛ مستمرا إلى بحر العرب ، مما ينتظم الآن أقاليم : الكويت ، والبحرين ، وقطر ، والإمارات ، وعمان - ويتصل به من الجنوب حضرموت ، واليمن .

وكان يطلق على هذه المنطقة قديما : البحرين ، وعمان(١) ، أما البحرين فكانت تضم الجانب الأوسط من الخليج العربي ، وتمتد من البحرين إلى سواحل شط العرب ، وتنتظم : الأحساء ، والقطيف ، وقطر ، وهجر ، ثم بقي إطلاق اسم البحرين على جزيرة (أوال) ، وما يتبعها من جزر ، وسط الخليج العربي ، وكان جغرافيو العرب يطلقون على قطر ، والأحساء ، والكويت ، والجزر الممتدة على الساحل (بلاد البحرين وهجر) ، وذكر صاحب معجم البلدان أن منطقة قطر من أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان ، والعقير ، وإليها تنسب الثياب القطرية ، والنجائب القطريات ، وكانت بها سوق أدبية ، ويقول (جرير ٣٠ — ١١٥ هـ) في محاسن إبلها :

لدى قطريات ؛ إذا ما تغولت بنا البيد غاولن الحزوم الفيافيا

---

(١) انظر : ابن خلدون : المقدمة ٥٤ - ٥٥ ، معجم البلدان : ياقوت ، تاريخ ابن الأثير ، صبح الأعشى : القلقشندي ، الضوء اللامع للسخاوي .

أما عمان فكانت تنتظم ساحل عمان ، والإمارات المتصالحة ، وساحل الهدنة (دولة الامارات العربية المتحدة الآن) ، كما كان ينتظم سلطنة عمان الآن ، وتجد قصة عمان والبحرين مذكورة فى مسند البخارى ؛ وكان الرسول — ﷺ — قد بعث العلاء بن الحضرمى إلى البحرين ، وعمرو بن العاص السمى إلى عمان .

وهجر : إقليم تابع اليوم للمملكة العربية السعودية ـ فى الجزء الواقع على الخليج ، وإليه يشير (ابن المقرب العيونى ٥٧٢ — ٦٣١ هـ) بقوله :

يا كن (الخط) ، و (الاحساء) من (هجر) ...

والخط كذلك من بلاد شرق الجزيرة ، وإليها تنسب الرماح الخطية ، ونسب إليها (عيسى بن عاتك الخطى) من شعراء الخوارج .

وقد شاركت هذه المنطقة العربية فى صنع التراث الحضارى ، والأدبى مشاركة جادة ، وأصلية ، كان لها أثر بارز على معطيات الحضارة ، والأدب فى مختلف العصور ، منذ عرف العرب فن القول شعراً ، ونثرا .

وعلى الرغم مما حظيت به المنطقة من بواكير النهضة ، وانتعاش الحياة الأدبية ، إلا أنه لم ينلها حظ وافر من التسجيل ، والتدوين ، والدرس مثلما حظى بقية الأقاليم العربية فى نجد والحجاز ، ومصر والمغرب ، والأندلس ، والشام ، والعراق ، حتى أهملت آثار هذه المنطقة ،وضاع تراثها ، وتناثرت بقاياه فى بطون الكتب على غير نظام(١) .

فقبائل هذه البلاد كانوا سباقين لفرض الشعر عن غيرهم ؛ فيقال : إن أول من قال الشعر فى نزار (مضر وقضاعة) عمرو بن قمينة المتوفى

---

(١) أشار الجاحظ إلى كثير من خطبائهم ، وشعرائهم فى البيان والتبين ، بينما كاد الثعالبى أن يهمل شأنهم فى يتيمة الدهر تماما .

سنة ٥٣٨م(١) ، وهو أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وكان من خدم حجر أبى امرىء القيس ، وهو المعنى بقول امرىء القيس(٢) :

بكى صاحبى ، لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك ، إنما ... نحاول ملكا ، أو نموت فنعذرا

ومن جيد شعر عمر بن قميئة(٣) :

أرى جارتى خفت ، وخف نصيحها ... وحب بها ! لولا الهوى وطموحها

وتميم ، وربيعة ، وقيس من القبائل التى سكنت اليمن ، ثم شرق الجزيرة ، وبادية العراق ، وتحركت فى جنوب الجزيرة ، وشرقها ، ونبغ فيهم (طرفة ابن العبد ٥٥٢ م) صاحب المعلقة المشهورة :

لخولة أطلال ببرقة شهمد ... تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ومنهم المتلمس (جريرة بن عبد المسيح ٥٥٠ م) من بنى ضبيعة ، وهو الذى أنشد (ميميته) فى عتاب خاله الحارث بن التوأم اليشكرى ، وفيه يفتخر قائلا(٤) :

وكنا إذا الجبار صعر خده ... أقمنا له من ميله ؛ فتقوما
فلو غير أحوالى أرادوا نقيصتى ... جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت إلا مثل قاطع كفه ... بكف له أخرى ؛ فأصبح أجذما

---

(١) انظر الأغانى ٢٢/١٦ ، المزهر ٢٣٧/٢ ، معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣ ، خزانه الأدب ٣١٢/٤ ، الشعر والشعراء ٣٧٦/١ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٦٠/١ ، ٢٩٢ .

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢٩٢/١ .

(٤) الأصمعيات ٢٤٤ .

ومنهم المرقش الأصغر ٥٠٠ م ، وهو عـم طرفة ، وابن أخى المرقش الأكبر ، ومنهم المثقب العبدى (عائذ بن محصن ٥٢٠م) ، وعمران ابن حطان ٨٤ هـ .

ويأتى فى مقدمة خطباء العرب رقبة بن مصقلقه العبدى ، وكان من أشهر خطباء عبد القيس ، وفصحائهم ، وابناه : مصقلقه ، وكرب(١) ، ويقول الجاحظ فى شأن (آل رقبة) ، وبيان منزلتهم الأدبية :

« والعرب تذكر من الخطب المشهورة (العجوز) ، وهى خطبة لآل رقبة ، ومتى تكلموا فلا بد لهم منها ، أو من بعضها ، و (العـذراء) وهى خطبة قيس بن خارجة ، لأنه أبا عذرها ، و (الشـوهاء) ، وهى خطبة سحبان وائل ، وقيل لها كذلك من حسنها (٢) ... » .

ومن خطباء شرق الجزيرة ، والخليج كذلك بنوصوحان ، وهم : صعصعة ، وزيد ، وسيحان ، وكانت قد وقعت بين صوحان ، ومعاوية بن أبى سفيان مناظرة تدل على مدى ثقافة صوحان ، وسرعته بديهته ، وحضور ذهنه ، وعلمه بأنساب نزار ، وعاداتها وبطونها ، ذكرها القالى فى آماليه (٣) .

ومن خطباء عمان قيس بن خارجة الشيبانى ، وسحبان الباهلى ، وصحار بن العباس العبدى ٤٠ هـ ، ويذكر الجاحظ من شأن عبد القيس ما يدل على أنهم سكنوا الخليج وأقاموا به نهضة أدبية لها أثرها ، وأن عبد القيس ... بعد محاربتهم (تفرقوا فرقتين : فرقة وقعت بعمان ، وشق عمان ، وهم خطباء العرب وفرقة وقعت إلى البحرين ، وهم من أشعر قبيل العرب(٤) » .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٢/٢٣٠ سندوبن .
(٢) المصدر السابق نفسه ٢/٣٤٨ .
(٣) القالى (أبو على اسماعيل) : الأمالى ٢/٢٣٠ .
(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ١/٦٧ .

ولو أخذنا نعدد خطباء شرق الجزيرة ، وشعراءها لوجدنا منهم الكثير ، ولأعيانا الحصر (١) ، لكن حسبنا هذه الإشارات التى توضح ما لمنطقة الخليج من أثر أدبى منذ القديم .

ولم يقتصر نشاط هذه الديار على قول الشعر ، أو إلقاء الخطب وحسب ، ولكنها كانت إلى جانب ذلك منتديات أدبيـة ، وأسواقا يرتادها الدانى والقاصى على مدى العام ، حتى عد من أسواق شرق الجزيرة ، والخليج سوق : دارين والجرهاء ، والزارة ، وهجر ، وعمان ، وصحار ، ودبا ، والمشقر ، والشحر ، وعدن ، والرابية .

وعلى كل حال فلسنا فى مقام السرد بقدر ماهى إشارة تعطى مؤشراً إلى حركة الأدب شعره ، ونثره ببلاد الخليج منذ أقدم العصور ، وبالرجوع إلى أمهات كتب الأدب مثل حماستى أبى تمام ، والبحترى ، وطبقات الشعراء ، والاصمعيات ، والبيان والتبيين ، والكامل والأغانى ، والأمالى يمكن تصور ما كانت عليه المنطقة من نهضة أدبية رائدة .

ولقد شهدت المنطقة تيارات فكرية ، وسياسية مختلفة ؛ ذلك أن المعارضة السياسية الجماعية كان مصدرها الخليج ، وشرق الجزيرة فظهرت حركات الخوارج ، وطوائفها مثل الاباضـية فى عمان ، كما ظهر القرامطة بالبحرين ، وبعض التيارات الشيعية فى أماكن مختلفة ، وكان لمثل هذه التيارات أثرها على الأدب .

كما ظهرت الاتجاهات الدينية من تصوف ، وغيره إلى جانب الاتجاهات

( ) من هذه المنطقه : مرة بن فهم التليد ، وهو الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج ومن العتيك يسر بن المغيرة ابن أبى صفرة ، والصباح بن شق الحميرى ، الذى كان أخطب العرب ، وروح بن زنباع . انظر البيان ١ / ٣٥٨ .

القومية ، والوطنية التى ظهر أثرها ؛ إبان النفـوذ الاستعمارى فى منطقة الخليج العربى(١) »

يضاف إلى هذا أن جنوب شرق الجزيرة كان منبع الهجرات (الفينيقية) التى بدأت من موطنها الأصـلى فى مدينة صور على ساحل بحر العـرب ، وتحركت هذه الهجرات حتى رست حضارتها على ساحل البحر المتوسط بمدينة صور اللبنانية .

لذلك كله نجد أن الأدب الخليجى يعطى صورة صادقة لحضارة عريقة ، وهو واجهة ، ومرآة لنهضة نشأت على ساحلى الخليج العربى ، وامتدت آثارها إلى الهند شرقا ، وشرق أفريقيا غرباً ، والعراق ، والشام شمالا . ولسوف يتضح من خلال نظرتنا الأدب الخليجى أنه مصدر فـكر أصـيل ، يعبر عن وجدان المجتمع الذى نشأ على سواحل الخليج .

كما أن الأدب الخليجى يمثل تلك التيارات الفـكرية التى نشأ فيها الأدب الثورى بمـا يمثله من روح المعارضة الحقيقية فى سياسة الخلافة ، والخلفاء ، ونجد مثالا لذلك عند أدباء عمان ، والبحرين ، وباقى الأقاليم .

وليس معنى ذلك أن الأدب الخليجى كان ذا طبيعة خاصـة عزلته ؛ أو انتحت به جانباً عن الوجدان العربى ، وروح القومية وتمثـله الآمال ، والطموحات العربية ، ذلك أننا ونحن بصدد دراسة الأدب الخليجى يتجلى لنا مدى اختلاطه بوجدان الأمة العربية كلهـا من أقصاها إلى أقصاها ، وصدوره عنها فى كل آلامها وآمالها ، وفى الانصهار مع الأحداث التى تلاحقت على الأمة العربية ، والانفعال بها منذ مطلع القرن الميلادى التاسع عشر ، وكانت الرؤيا القومية واضحة أمام شعرائه .

---

(١) انظر اتجاهات الأدب العمانى فى العصر الحديث ، رسالة دكتوراه للباحث ص ٨٠ — ٩٠ كلية اللغة العربية .

كما أن الأدب الخليجى حمل ملامح سكان السواحل ، وآمالهم ، وأمانيهم ، وأعطى تصوراً صادقاً عن العربى هناك ، وطبيعة حياته ، يحمله البحر إلى حيث يشاء ، أو تبلغه الفلوات أقصى ما يريد .

وعلى الرغم من تمثل الأدب الخليجى لكل التيارات ، وتأثيره فى الاحداث وامتداده عبر العصور ، وأعماق التاريخ إلا أنه لم يجد عناية كافية من الدارسين فى الحديث لأى من مراحله المختلفة ، وظل مبعثراً فى عدة دواوين وكتب ، وإشارات هنا أو هناك(١) .

وتجىء هذه الدراسة لتسد جانباً من الفراغ فى حياتنا الأدبية ولسوف نتبين منها المدارس الأدبية ، والتيارات المؤثرة فى حركة الأدب الخليجى تلك التى عمقت الاتجاهات المختلفة : الدينية والاجتماعية والقومية والفكرية . وسوف نتابع الأدب الخليجى منذ مطلع عصر النهضة ، حتى نعطى تصوراً له وبرز عوامل نهضته ، وملامح اتجاهاته .

ويجدر بنا أن نعطى صورة عن بعض رواده فيما قبل عصر النهضة الحديثة ، وسنختار ، نماذج دالة على اتجاهاته المختلفة فنقف معها بعض الوقت .

---

(١) من الكتب التى صدرت فى معالجة جوانب لأدب الخليج . الأدب العربى المعاصر فى الجزيرة الدكتور . عبد الله آل مبارك سنة ١٩٧٣ ، والأدب المعاصر فى الخليج العربى لعبد الله محمد الطائى ١٩٧٤ ، كما ظهر تاريخ الأدب العربى (عصر الدول والامارات) للدكتور شوقى ضيف — عن دار المعارف . وهذه الدراسات يغلب عليها التعميم ، والشمول ، والاجمال .

١ — ابن المقرب العيونى البحرانى

(٥٧٢ — ٦٣١ هـ / ١٢٧٣ م)

فى أواخر عهد الدولة العباسية ظهر فى منطقة الخليج (جمال الدين أبو عبد الله على بن مقرب بن منصور بن مقرب . الربعى العيونى البحرانى (١)) الذى ينتمى إلى الأسرة العيونية ، حكام الأحساء ، والبحرين من منتصف القرن الهجرى الخامس إلى قرب منتصف القرن السابع ٤٦٦ — ٦٣٣ هـ هؤلاء الذين يرجع الفضل لهم فى القضاء على حركة (القرامطة) وكان مؤسس الأسرة العيونية جداً للشاعر من جهة أمه ، كما كان أبوه أحد قواد الدولة ، وأصحاب النفوذ بها .

وولد على بن المقرب فى بيت علم ومجد لأسرة وجيهة تزعم (الأحساء) ، ثم نشأ بها مستنيراً يملأ نفسه فخراً بآباء دان لهم مجد (الخليج) ، وطاعت لهم آفاق (شرق الجزيرة) . وكشأن النبهاء دائما حسد الشاعر ووشى به إلى أمير البلاد أبى منصور على بن عبد الله منازعته الحكم فخنق الأمير عليه ، وألقاه فى السجن ، ولما خرج من السجن لم يستطع المقام ببلاده فاختلفت به

---

(١) انظر فى ذلك : ابن رزيق (حميد بن محمد) : الفتح المبين فى سيرة السادة البو سعيديين ص ٢٢٩ — سجل العرب القاهرة سنة ١٩٧٧ : بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ١ / ٣٠٢ ؛ الأعلام للزركلى ٥ / ١٧٥ ؛ جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٣/٣٣ ؛ عمر فروخ : تاريخ الأدب العربى ٣/٥٠٧ ...

ونسب ابن المقرب إلى البحرين التى كان يطلق على المنطقة الواقعة على الشاطىء الشرقى من شبه الجزيرة بين البصرة وعمان ، كما نسب إلى بلدة العيون بالاحساء .

المصائر ، و لازمان ، وتنقل مابين (الأحسا.) ، و (العراق) ، (والشام) ، و (مصر) يدفعه أمله ، وتقدمه طموحاته على أن ينال امارة ، أو شيئاً من الملك .

وكان ابن المقرب يستشعر فى نفسه مثلما كان يستشعره (أبو الطيب المتنبى) فيما كان يريد بناءه لنفسه من مجد ، وملك لا ينبغى لشاعر آخر ؛ فكلاهما اقى من زمانه مشقة ، ومن لاُمّيه وشاية ، وكلاهما جد المجد ، وسعى فى الأرض طلباً له ، وكلاهما طالما رفعه شعره بين معاصريه ، وكلاهما تباهى بقصائده أمام الحكام والأمراء .

وبمثل ذلك كان ابن المقرب عيوفا ، يأبى الضيم ، ويدفعه إلى المعالى كبرياء ، واعتداد بالنفس غريب ؛ حتى إنه لما لم ينل حظه مع قومه برم بهم ، وانقلب عليهم ، وتنكر لموطنه ، وهجره إلى الشام ، والعراق ، ومصر ، يمدح من شاء آملا أن يعطى إمارة ، أو يعد له فى أسباب الملك . وبقى كذلك دون جدوى إلى أن رجع أدراجه ، والألم يعتصر فؤاده ؛ فبقى يعانى قسوة الحرمان ، ومرارة الوحدة ، وأخذ عوده يذوى حتى قضى على تلك الحال بين يأس ، وأمل سنة ٦٢١ هـ ببغداد .

ثقافتـــه :

الناظر فى ديوان ابن المقرب(١) يتأكد له أنه بصدد شاعر ذى ثقافة لغوية ، وتاريخية ، وإسلاميه كبيرة ، ناهيك عن حسه الأدبى ، وذوقه فى امتلاك ناصية الشعر ؛ فلطالما يذكر فى قصائده أحداث العرب . وأيامهم ، وتواريخهم ، كما يحدثنا عن أخبار الفرس ، وملوكهم ، وعن شجاعة أمراء الخليج ، وحمايتهم لحجاج بيت الله .

---

(١) طبع لأول مرة فى مكة سنة ١٨٨٩ ، ثم بالهند سنة ١٧٩٣ ؛ وحققه عبد الفتاح الحلو ، وطبعه البابى الحلبى سنة ١٩٦٣ م .

وكان ابن المقرب قد دفع إلى حب الشعر منذ الصغر ، وتملكه شعور عميق بقراءة دواوين الشعراء النابهين ، والسهر عليها حتى كان شعره أثراً لقراءته فى دواوين المتنبى ، ومهيار الديلمى ، والشريف الرضى ، ولما أنس من نفسه القوة ، وانطلاق الكلمة الشاعرة أخذ يعارض المتنبى وغيره بشعر رائق كاد أن يبلغ به ما أراد فى معارضاته .

وامتلاكه لناصية الشعر منذ الصغر قربه لأمير أسرته (محمد بن أبى الحسين ٥٨٤ — ٦٠٣) الذى شمل حكمه أوال ، والقطيف والاحساء ، وقبائل نجد الشرقية وكان هذا الأمير مطاعا فى قومه ، صاحب حظوة ، ومكانة لدى الخليفة (الناصر لدين الله ٥٧٥ — ٦٢٢ هـ) ومنزلته عند هذا الأمير تذكرنا بمنزلة المتنبى عند سيف الدولة حتى أنه ليمدحه فى غزواته وحروبه ويتخذ من طريقة المتنبى منهجا فى ذلك من مثل قوله :

رماح الأعادى عن حماك قصار وفى حدها عما تروم عثار
وكل امرىء ليست له منك ذمة يضام على رغم له ، ويضار
فعش فى عظيم الملك ما لاح كوكب وأظلم ليل ؛ أو أضاء نهار

وبلغ من وفاء ابن المقرب لهذا الأمير الشجاع أن يبكاه بأحر الدموع وبالغ الأسى ، لما أن قتل ، حتى أنه ليقول :

لبيك العلا ، والمجد ، والبأس والندى
لقد صل (١) واديها ، وجفت مسايله
وتندبه البيض الصوارم ، والقنا لما أهملتها كفه ، وأنامله
لقد منيت منه الأعادى بثائر همام ، أبى أن يحمل الضيم كاهله

وطبع ابن المقرب منذ صباه على التمرد ، والكبرياء ، وعدم القعود على

---

(١) صل : أجدب

خسف يراد به ؛ أو وشاية تنتقصه (فالعيونيون) محل فخره ، وموطن عزة إن جازوه بالإحسان إحسانا ، وبالعزة مجدا والخليج وطنه الغالى إن أحسن استقباله ، ووجد الراحه والتقدير لكن الأهل ليسوا هم الأهل ، والوطن ليس هو الوطن إن أحس بضيم ، أو تنقص منه ، أو تنمر به فلسان حاله يقول :

وإن نأت بك أوطان نشأت بها فارحل فكل بلاد الله أوطان

وابن المقرب ليست له همة التحمل التى تمتع بها كثير من شعراء الخليج ، ولا يمكنه تفريج مابه من ضيق ، أو امتصاص مواقف الخلاف بينه ، وبين بنى عمه حكام الخليج ، فقد كان يثور لأقل شىء يصيبـــه فيهجر الأوطان ويهاجم الأمراء . ويطوف الممالك ويدخل على الأمراء فى الشام ، والخليفة ببغداد ، ثم يرحل لمصر ويمدح أمراءها بحثاً عن المعالى ونشدان الإمارة . فهو يقول :

بينى ، فما أنت من جدى ، ولا لعبى مالى بشىء سوى العلياء من أرب
لا تكثرى من مقالات تزيد ضنى ما (الخط) أمى ولا (وادى الحسباء) أبى

وهو إذ يترك وطنه فليس عن قلى ، أوسأم وملل المقام فيه ، ولكنه طبع على كره الخذلان ، ورفض الضيم إذ ليس من شيمة كبير النفس ، عزيز الجانب مثله أن يرضى بالهوان .

لاتحسبوا بغضى الأوطان من ملل لابد للود ، والبغضاء من سبب
قل ، وذل ، وخذلان وضيم عدى مقام مثلى على هذا من العجب
إذا الديار تغشاك الهوان بها فحلها اضعيف العزم ، واغترب (١)

---

(١) ديوان ابن المقرب ص ٧٥ تحقيق عبد الفتاح الحلو ، وطبع الحلبى سنة ١٩٦٣ م .

وتتوالى تلك الدعوة فى شعره كثيراً ، حتى صارت مبدأ يدافع عنه .

وإن وطن ساءتك أخلاق أهله فدعه فما يغضى عن النقص ماجد
فما (هجر) أم غذتك لبناتها ولا (الخط) ، إن فارقته لك والد(١)

ويقول :

أقيما على حد المدى ، أو ترحلا فلست براض منزل الهون منزلا
ولا تسألانى أين ترمى ركابى فما لكما أن تسلمانى ، وتسألا
فقد سئمت نفسى المقام ، وشاقنى ركوب الفيافى مجهلا ، ثم مجهلا (٢)

ورحل ابن المقرب ، إلى بغداد ، ومدح الخليفة الناصر ، كما أقام بالبصرة ، ومدح واليها باتكين بن عبد الله الرومى سنة ٦٠٥ هـ ثم يعود إلى الخليج ، ويمدح أمراء العيونيين ثم يرحل لبغداد والشام ويمدح أمراء حران ، والجزيرة والأيوبيين ، وأخوتهم بمصر ثم يعود لبلاده ، ويأسى لما أصاب بلاده من فساد ، وتفيض نفسه حسرة وألماً .

وكان ابن المقرب مشوقاً لوطنه فى أثناء رحلاته ، ولطالما كانت أشعار الغربة مبعث صدق يدلنا عليه ، على الرغم من أنه فى كل مرة خرج من وطنه كان مكارم النفس ؛ حزين الفؤاد .

ولك أن تتصور نفس شاعر لايستقر به مقام فى مكان فلعل ملابسات الغربة ، وألم البعد عن البلاد ، وخروجه حزين النفس كانت مبعث الشكاية ، وندب الحظ العاثر التى جعلته يعيش فى صراع مع الحياة يمثلها قوله :

من سالم الناس لم تسلم مقاتله منهم ، ومن عاث فيهم بالأذى سلما

---

(١) المصدر السابق نفسه ١٤١
(٢) المصدر السابق نفسه ١٤٢.

فكأنه يعيش على مبدأ شاعر الجاهلية (ومن لا يظلم الناس يظلم) وتتمثل شكاته وندب الحظ العاثر فى مثل قوله :

أبت نوب الأيام إلا تمـــاديا ... فيا شقوتى ما لليـــالى ؛ ومالياً
إذا قلت يوماً حان منها تعطف ... رأيت رزاياها تســـامى كما هيا
فليت أخلائى الذين ادخـــرتهم ... جلاء لهمى (لاعلى ؛ ولا ليا)
وأعجب مايأتى به الدهر أننى ... أرى القوم ترمينى بأيدى رجاليا(١)

شعر ابن المقرب :

انصرف هم ابن المقرب إلى أغراض الشعر الموروثة ونظمه يتردد بين الحكمة التى استخلصها من حصيلة تجاربه وشكوى الدهر ؛ وطلب المجـــد والفخر بقومه ومدح الأمراء والحكام ؛ وإن كان أكثر مقوله يتجلى فى الفخر بأسرته (العيونية) حكام ساحل الخليج ؛ ويرى أن فضلهم سلسلة متصلة الحلقات منذ نشأ العرب ؛ أو هاجروا إلى ساحل الخليج ؛ وفى ميميته يسجل مفاخر الأسرة كلها بمثل قوله :

فى الجاهلية سدنا كل ذى شرف ... بالمأثرات ، وسدنا العرب والعجما
حتى أتى الله بالإسلام وافتتحت ... كل البـــلاد ؛ وأضحت للأنام سما
وفضل آخرنا عن فضـــل أولنا ... يغنى والكل بحر هاج فالتطما
شدنا من المجد بيتاً لا تقاس به ... (ذات العماد)؛ولكن لم تكن (إرما)
سل (القرامط) من شطى جماجمهم ... فلقاً ؛ وغادرهم بعد العلا خدما
من بعد ماارتج بـ (البحرين) شأنهم ... وأرجفوا الشام بالغارات و(الحرما)
ولم تزل خيلهـــم تغشى سنابكها ... أرض (العراق)؛وتغشى تارة (أدما)
وحرقوا (عبد قيس) فى منازلها ... وصيروا الفـــرس من ساداتها خدما

---

(١) الأدب العربى المعاصر فى الجزيرة العربية القسم الأول ص ١٨ .
د . عبد الله المبارك

وأبطلوا الصلوات الخمس، وانهكوا شهر الصيام ، ونضوا بينهم صنما
وما بنـــوا مسجدا لله نعرفه بل كلما وجدوا قائما هدما
حتى حمينا على الإسلام، وانتدبت منا فوارس تجلوا الكرب والظلما
وطالبتنا بنو الأعمام ما عدمت فلم تجد بكما منا ، ولا صمما
وقلدوا الأمر منا ماجدا نجدا يشفى ، ويكفى إذا ما حادث دهما
ماضى العزيمة ، مأمون تعينه أعلا نزار إلى غاياتها همما
وسار تتبعه ، غر غطارفة لو زاحمت سد (ذى القرنين) ماسلما (١)

وطالما مر ابن المقرب على حاضرة (البصرة) فمدح أميرها (بانكين بن عبدالله الرومى) فأجزل له العطاء . ومن خير مدائحه فيه (رائيته) التى بلغت شأوا جيدا فى المدائح ، بإنه ليرد فيها سمات الشهامة، وفضائل المروءة إلى ذلك الأمير الرومى ، ويعده شمس الله عـــلى تلك الحواضر ، حتى أنه ليقول له :

ياشمس دين الله ، كم لك من يد يثنى بها باد ، ويشهد حاضر
ادفع بجاهك ، أو بمالك منعما عنى ، فما لك للعفاة ذخائر

وحينما امتدت به الأسفار إلى الملك (الأشرف موسى بن العادل الأيوبى) صاحب (حران) فإنه يمدحه بما يمدح به الملوك العظام، وأنه لكذلك وفوق ذلك ، أليس هو الذى هب بالنجدة لأخيه (الكامل الأيوبى) الذى سحق (الصليبيين) بـ (دمياط) ٦١٥ ٦١٨ هـ فلا غرابة أن يبلغ ابن المقرب بمدح (الأيوبيين) ما لم يبلغه معاصروه . ولقد سجل شعره مآثرهم فى رد غارات الصليبيين عن (مصر) فى (قافيته) التى يقول فيها :

---

(١) ابن رزيق (حميد بن محمد) الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٢٩ ـ القاهرة ١٩٧٧ سجل العرب وأدم ناحية بداخلية عمان .

سل الكفر من أوهى به (دمياط) كفره
وقصر أعلى فرعه ، وهو باسق
وقد جاءت (الإفرنج) من كل وجهة
كأن تداعيها السيول الدوافق
فولوا ، فمكبوت على أم رأسه لدن ذاك لم ينفق وآخر نافق

ومع أن ابن المقرب لم يأخذ حظه فى رحلاته ، كما لم يأخذه فى مقامه بين أهله ، وعشيرته ، ومع أنه ظلم ، وأجحد حقه ، وهضم فى عزته فإنه بقى صامدا لا تلين قناته ، ولا تؤثر فيه الأحداث ، وبقى عزوفا عن الدنايا مترفعا عن الهوان يرى فى نفسه عزة ، وإباء ، كما يرى فى وطنه شموخا ، وكبرياء لا يمكن أن يتحول عنه ، لكنه يعاتب أهله ، ويفتخر بنفسه على نحو ما كان لدى أبى فراس فى معاتبة سيف الدولة الحمدانى ، والافتخار بنفسه. ولعل شاعرنا كان يستحضر تلك المواقف فيتمثلها على نحو ما يصوره ذلك العتاب لقومه ، وما يصوره افتخاره بنفسه ، وتعاليه بقوله :

أو ليس جهلا أن تسيم بمرتع أكلت به المعزى لحوم رعاتها
أعربت حين دعوت ، إلا أنه لا يبلغ الأموات صوت دعاتها(١)
فارغب بنفسك أن تقيم ببلدة عصفورها يسطو بشهب بزاتها
إن يرض قومى الهون فى ، فطالما عمـــدا أهنت النفس فى مرضاتها
كم قد غدوت ورحت غير مقصر فى لم فرقتها ، وجمع شتاتها
ولقد عصيت بها العذول ولم أذع ما بان - للاعداء - من عوراتها
حميت عن أعقابها ، ورميت عن أحسابها ، وسهرت فى نوباتها

---

(١) يرى ترك الأوطان فقومه يجحدون حقه ، ويأكلون لحمه أكل المعزى لحوم رعاتها ، واعرب : أفهم ، وأبان وهذا على نحو قول الشاعر :
لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

ومع ما تصوره هذه الأبيات من عتاب قاس ، ونقد لمن تنكروا له ، فيما يصوره ببيانه ، المعبر عن دخائل غيظه ، وحنقه — فإنه — مع كل ذلك — يدافع عن قومه ، ويتعلق بهم تعلق الفرع بأصله ، ويرجع إليهم رجوع الطفل إلى أمه ، فهو فى سراتها ، ولا مكان للوم لائم ، أو شماتة عذول :

قومى سراة ربيعة ، وملوكها ، وإذا نسبت وجدت فى سرواتها
ولرب لاح قال لى ، وجفونه شكرى إلى الاماق من عبراتها
هون فقومك — يا على — حياتها كمماتها ، ومماتهـــا كحياتها
لو كان فيهـا من همام ماجد لم تسق مر الضيم من راحاتها(١)

ويطالعنا فى شعر ابن المقرب بعض النسيب ، والوصف ، والرثاء ، يملك فيه زمام الكلمة ، ويؤثر فى سامعه بما توحى به عباراته ، وألفاظه . وفى نسيبه مزيج من عزة النفس ، وتهالك الصبابة ، وهو حينما يتذكر أيام صباه يأخذنا إلى عالمه المملوء بالذكريات ، فيفرغ شحنات العواطف فى تذكر تلك الأيام على نحو قوله :

لله أيام الصـــبا ، إذ دارنا (حجر القرى) ولنا بـ(أجلة) معهد
إذ لمتى تحكى الغداف ، وإنمـا أشبهى الشعور إلى العيون الأسود
والخد من ماء الشباب كأنمـا فيه لأحداق الكواعب مورد
كم ليلة طالت فقصر طولهـــا شدو المزاهر ، والغزال الأغيد
وترنم الأوتار فى يد قينة غنج يدين لها (الغريض) ، (معبد)
إن تنكرى شيئى — أميم — فطالما كنت الأود ، وغيرى المتودد
ولطالمـا أبصرتنى — فعذرتنى أذيالهن — الفاتنات النهد
فاستخبرى فتيان قومك أيهم يغنى غنائى ، أو يقوم ، وأقعد

---

(١) سراة جمع سرى كناية عن النسب الشريف وعلو الهمة . اللاحى العاذل شكرى ملاى

قد أحمل العبء الثقيل وبعضهم فيه يصوب طرفه ، ويصعد
وإذا تشاجرت الخصوم فإننى سيف على الخصم الألد مجرد(١)

ولعل هذا النص يغنينا فى الوقوف طويلا عند (غزلياته) فما نظنها إلا كذلك ، وما نحسبها إلا على هذا النحو الذى أراد (ابن المقرب) أن يشبب فيه بصويحباته فنسى ، وشبب بنفسه، وأخذ يتغزل فى شعوره السوداء المتدلية وخده الذى تهفو إليه الفاتنات ، وكم منهن من تعثرن فى أذيالهن هياما به ، وكأنه (الجمال اليوسفى)

ولعـــل ابن المقرب ممن كانوا يعجبون بطريقة (عمر بن أبى ربيعة) فى النسيب الذى راح يتغزل فيه بنفسه بدل أن يشبب بصويحباته . وظن أن بيئته المترفة ، وحياة النعيم قد أصابته بهذه الآفة فظهرت بعض عوامل (الطبيعة الأنثوية) فى غزله ، والتى تطلعنا على ابن المقرب (المعشوق) لا (العاشق الولهان)

ومهما يك من شىء فشعر ابن المقرب — فى معظمه — يأتى قريبا من قريب ، ويعد سجلا شبه كامل لحيـــاة الدولة العيونية التى حكمت منطقة الخليج فى القرنين الهجريين الخامس ، والسادس . وهو — على كل حال — شاعر مجيد ، طويل النفس فى شعره جزالة ، حتى عندما تكثر الكلمات الغريبة فى بعض قصائده وشعره يمثل قيمة فنية جيدة فى أفكاره، وألفاظه وصوره وأخيلته ، التى تبدو فيها دقة الحس ، وعمق التصوير على نحو قوله :

---

(١) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربى ٥٠٨/٣ وحجر — بتثليث المهملة الأولى عاصمة البحرين . وأجله بفتح الهمز وكسره موضع باليمامة . والغداف الغراب . غنج - بفتح فكسر : الشكل ، والدلال، والتحبب للرجال والغريض ومعبد مغنيان فى العصر الأموى

أو ليس جهلا أن تسيم بمرتع أكلت به المعزى لحوم رعاتها
فارغب بنفسك أن تقيم ببلدة عصفورها يسطو بشهب براتها

ويظهر أثر شعراء الدولة العباسية فى شعره أمثال المتنبى ، وأبى فراس ، وأبى تمام ، كما يظهر أثر نفر من شعراء الجاهلية فى بعض قصائده مما نعده شاعرا مقلدا فى غالب شعره.

ويبقى أن نقول : إن ديوان على بن المقرب ثروة لغوية وفكرية ، وسجل تاريخى ينبىء على مدى ثقافته ، كما يدل على أثر البيئة فى شعره .

شاعر بنى نبهـــان

(٢) أحمد بن سعيد الخروصى الستالى

أحمد بن سعيد الخروصى ، شاعر عمانى ، من أبناء الخليج العربى ، ولد بالقرن الهجرى السابع ، ونشأ فى بنى خروص ، فى قرية (ستال) من قرى وادى بنى خروص ، ونسب إليها ، فقيل (الستالى) وكان الشاعر حفيا بهذا اللقب ، فخورا به ، كثر ما ردده فى شعره ، وشهرته فيه تؤكده بالانتساب إلى ستال ، وبنى خروص ، وهو إذ يفتخر تجده يذكر هذا اللقب .

وحكمة راح (الستالى)واغتدى بمدحك فى أبياتها يتفوق(١)

وقوله فى مدح (بلعرب) أحد ملوك بنى نبهان

فإن أحلى الأغانى ما أتاك به شعر (الستالى مدحا فى أبى العرب) (٢)

وقوله :

---

(١) ديوان الستالى ص ٣٠٨ بتحقيق عز الدين التنوخى ، المطبعة العمومية دمشق سنة ١٩٦٤ م

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٢٠

أقول، وقد لاح (الستالى) موهنا ولاح كبـاء ساطع النشر لايـكبو (١)

ومن قرية (ستال) بوادى بنى خروص فى عمان كانت ولادة الشاعر ، وفيها كانت نشأته الأولى ، وحركة الصبى مع أترابه بين رياض الوادى ، وعلى حصبائه . ثم أخذ مبادىء الدين وحفظ القرآن ، وقدراً من علوم العربية ، من نحو ، وصرف ، وبيان ، وساعده فى تلك النشأة العلمية تأدبه على مشايخ بنى خروص ؛ هؤلاء الذين عرفوا بالعلم ، وقول الشـعر ، وبقى كذلك حتى ألحت عليه موهبة الشعر ، أو قل جاهد هو فى إبرازها ، وقويت رغبته إلى قرض الشعر ، فصرف نفسه إليه ، وعكف على محاولاته الأولية ، التى كانت تنهض به حيناً ، وتتقاعس حيناً آخر حتى انتهت إلى ما أراد .

وقد عمق من موهبته الأدبية ، وساعد فى إبرازها ماكان سائداً آنذاك من انتشار روافد الثقافة العربية ، والإسلامية ، تغذيها منابع أصيلة من كل أنحاء الوطن العربى ، فما قرية أو نجع ، إلا وبه علماء ، ومحفظون ورواة للشعر ، يعقدون الحلقات ، ويقومون على مجالس العلم بالزوايا ، والمساجد ، والمحافل المنتشرة ؛ فما منهم إلا قارىء للقرآن ، أو محدث بالسنة ، أو عمين للشرع ، أو آخذ نفسه ، وتلامذته بحكم العرب ، وأشعارها ، وأنسابها .

ثم كان اتصاله بآل نبهان (فى سمد نزوى) أحد الدواعى التى شاءت أن تفجر ينابيع شاعريته ، وتبرز فنه ، وكانت أواصر القربى ، ووشائج المحبة قد ربطت بينه ، وبين آل نبهان ، حتى بلغ من حبه لهم ، وتوثيق علاقته بهم أن قد حصر شعره فى مدحهم ؛ وكأننا به ، وقد آلى على نفسه ألا يقول

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٣ ، والموهن ، والوهن : نحو من نصف الليل ، أو ساعة منه ، والكباء : كساء ، عود البخور ، أو ضرب منه ولعل الأصل وفاح لا يكبو : لا تخمد رائحته

شعراً إلا إذا كان مدحاً لأمرائهم ، أو تهنئة لحكامهم ، أو رثاء لزعمائهم ، ولذلك سمى (شاعر النباهنة) .

وتكسب الستالى بمدائحه لدى بنى نبهان ؛ بل إنه جعلها مصدراً وحيداً لارتزاقه ، وما له لا يجعلها كذلك ؟ أفليسوا هم أولياء نعمه ، وأصحاب الفضل عليه ؟ وأليس هو القائل فى مدح السلطان ذهل بن عمر النبهانى :

إذا ذكرت يوما مكارم تستبقى ... فان مديح الشعر أنفسها علقا
وما كل شـــعر كالذى أنا قائل ... ألا إن خير الشعر ماضمن الرزقا(١)

وهو القائل :

أما الغـــنى فسيؤتينيه مرتحلى ... من (ذات جوس) مطايانا لتغريب(٢)

وكان يعد نفسه خادما لملوك آل نبهان ، ولا يرى غضاضة من ذكر ذلك ، أو التصريح به ، فهو يقول لأبى المعالى كهلان أحد ملوكهم :

أحسن كعادتك الحسنى أبا حسن ... لخادم لك فى نعماك مرتهن
ضع الصنيعة عندى ، وهو موضعها ... واعتض بها من ثنائى غير ماثمن(٣)

وقد اعتقد أن الفن تجارة تخضع للتقييم المادى ، وأن الشعر بضاعته الرابحة مع بنى نبهان شأنه شأن شعراء المديح فى الأدب العربى على نحو قوله :

إذا شئت إنجاز الجوائز بالنجح ... وبيع القوافى من قريضك بالربح
وسيرا بمدح فى سؤال لنائل ... إلى مستحق للسؤال ، وللمدح
فواف بيوت الأزد من (سمد) ، وزر ... بنى عمر أهل السماحة ، والصفح(٤)

---

(١) الديوان ص ٣١٤ .
(٢) الديوان ص ٥٠ .
(٣) الديوان ص ٤٠٢ .
(٤) الديوان ص ٣٠٠ .

فالستالى وصل به الأمر إلى حد المسألة ، وإلحاف الحاجة ، وكان يرى فى هذا المسلك مايعرضه للوم الناس ، ومؤاخذته ، ولكنه لم يكن ليعبأ بقوله قائل ، أو ينصت لإنكار منكر على نحو قوله :

ولعل بعض القوم ينكر قولنا ... للشعر فى غزل ، ومدح متوج
فارفض بما ظن الجهول، وقل له ... إن الكلام لنا رحيب المنهج(١)

ومع ذلك فقد أخذ الستالى يشيد بمآثر بنى نبهان،ويتحدث عن معاركهم، وأمجادهم ، وما أنشأوا من حضارة ، وخص منهم ذهل بن عمر ، وأبى القاسم على بن عمر ، وأبى العرب يعرب — بشىء غير قليل من قصائده كما ذكر من ملوكهم أبا إسحاق إبراهيم ، وغيره ، ومدح بعض ملوك (الزنج) مثل (سبحت) ، و (بختان) و (إسحاق) .

وطال مقام الستالى مع بنى نبهان فى (نزوى) عاصمة ملكهم ؛ حتى عمر مايقارب التسعين ؛ أو يزيد ، وترك شعراً كثيراً ، ضمنه ديوانه الذى سمى باسمه ، جمعه ، وحققه ؛ (عز الدين التنوخى)(٢) ونشره بمصر ، وأحمد ابنا الشيخ السالمى(٣) .

---

(١) الديوان ص ٩٤ .

(٢) عضو المجمع العلمى بدمشق ، وطبع الديوان بالمطبعة العمومية بدمشق سنة ١٩٦٤ ؛ ويقع فى ٤٧٠ صفحة من القطع الكبير .

(٣) من ولد الشيخ عبد الله بن حميد السالمى ، المحقق العمانى ، صاحب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان .

الحياة السياسية فى عصر الشاعر

رحل الستالى من محل نشأته فى (وادى بنى خروص) من أعمال ساحل (الباطنة) بعمان إلى (سمد نزوى) من أعمال داخلية عمان حيث مركز النباهنة ؛ ومحل ثقلهم وموطن حضارتهم السياسية ، هؤلاء الذين حكموا عمان من منتصف القرن الهجرى السادس ، وحتى القرن التاسع (٥٤٩ — ٨٠٩ هـ / ١١٥٤ — ١٤٠٦ م) (١) ، وكان انتقاله إلى (سمد نزوى) زمن السلطان (ذهل بن عمر بن معمر النبهانى) .

وبنو نبهان قوم من العتيك ، ومن بطون طيء ، التى منها بنو سنبس الذين ينتمى إليهم حاتم الطائى ، ملكوا عمان على حقبتين ، ودام ملكهم خمسة قرون ، ومدح الستالى ملوكهم الأوائل ، ولعل شعره من المصادر النادرة التى تحدثت عن هذه الدولة ، وذكرت أحداثها ، إن لم نقل أنه المصدر الوحيد لذلك(٢) ؛ ذلك أنه مدح من ملوكهم : أبا عبد الله (محمد بن عمر بن نبهان) وأخاه (أبا الحسين أحمد وأبا عمر معمر ، وأبا القاسم على ، وأبا القاسم ذهل ابن عمر ، وأبا المزب يعرب ؛ وأبا إسحاق إبراهيم ، كما مدح من أولادهم وأمرائهم ، أبا المعالى كهلان بن محمد ؛ وأبا محمد نبهان بن ذهل ، وأبا عبد الله محمد بن أحمد ، وأبا عبد الله محمد بن عمر . وأبو محمد هذا لقب لكل سلطان من بنى نبهان(٣) .

---

(١) انظر السالمى (عبد الله بن حميد) تحفة الأعيان ١/٣٥٢ بسير فأهل عمان ١/٣٥٢ ، د . جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان ، وشرق أفريقيا ص ١٠ .

(٢) انظر المصدر السابق نفسه ٢/٣٥٢ ع .

(٣) انظر رحلة بن بطوطة ؛ وتحفة الأعيان ١/٣٦٥ .

أما دولة أبى المعالى كهلان ، وأخيه عمر فقد كانت نحو من سنة ٦٦٠ هـ وفى هذا العام كان قد خرج أمير هرموز (محمد بن أحمد الكستى) فوصل (قلهات) من أعمال عمان ، وطلب من أبى المعالى خراج عمان ، ومنافعها ، فاعتذر له كهلان ، إلا أن الكستى أضمر مكيـــدة له لم تلبث أن باءت بالفشل (١) .

ودولة عمر بن نبهان كانت حوالى سنة ٦٧٤ هـ فى الوقت الذى كان فيه فخر الدين أحمد بن الداية صاحب (شيراز) قد نوى الخروج فى جمع من خمسمائة يريد دولة بنى نبهان ، حتى جرى على العمانيين منهم أذى كثير فى نزوى ، وبهلا ، وكسرت شوكتهم ، وحدث غلاء شديد (٢) .

وفى سنة ٦٧٥ هـ فى دولة كهلان بن عمر بن نبهان خرج أولاد الريس على عمان وأحرقوا (محلة العقر) بـ (نزوى) ، وأخذوا جميع مافيها ، وسبوا النساء ، وأحرقوا مساجدها ، وماجها من كتب ، وقتلوا نحو من ثلاثمائة رجل .

ويروى المؤرخ العمانى (السالمى) أن دولة بنى نبهان كانت « مبنية على الاستبداد بالأمر ، وقهـــر الناس بالجبرية ، لم نجد لدولتهم تاريخاً ، ولا لملوكهم ذكراً ، إلا ما ذكره الستالى منهم فى ديوانه » (٣) ، و« أنهم أظهروا الفساد فى البلاد ، وقهروا العباد بالعناد ، وجروا على ماتشتهى أنفسهم ، وحكموا بخلاف ماأنزل الله ، وقتلوا من أنكر عليهم من العلماء » (٤) ويقال إنه كان منهم أحد الجبارين العتاه ، وهو خردلة بن سماعة ، صاحب سمائل ، فقد طبع على الظلم ، ونهب أموال الرعية ، وأخذ نصف مهر المرأة ، ونصف ماتخرجه

(١ و ٢ و ٣) المصدر السابق نفسه ١/٢٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ١/٢٦٨

الارض من حب ، أو يجود به النخيل من تمر ، وكان كل ذلك يحمل إلى خردلة ، وكانت البلاد المجاورة مثل (قيقا) ، و (بد بد) (١) تحمل تمرها ، وما يقتضيه منهم على دوابهم إليه . وذكر (السالمى) (٢) عن خردلة هذا من الشدة والجبروت الشيء الكثير ، وأنه قتل فى زمانه أحمد بن النظر أحد الفقهاء الشعراء (٣) .

وتدل آثار بنى نبهان فيما انتظمته مدائح السمتالى فيهم ، وفيما صور به ألوان حياتهم على أن هؤلاء القوم كانو من القوة ، والسلطان، ومن الحضارة والعمران ما لم يكن لغيرهم فى منطقة الخليج ، وأنهم قد بلغوا شأوا كبيرا من الرفاهية ، والتحضر أدخلهم فى عداد الدول ذات السطوة ، والجاه ، كما أن علماء ذلك الزمان كانوا يجدون فى طلب العلم ، وينشطون فى البحث ، والتأليف ، حتى أن الكتب التى وجدت عند (ابن النظر) لتدل على اهتمام بالغ بالثقافة ، ومدى التقدم العلمى آنذاك مثل (سلك الجمان فى سيرة أهل عمان) ، و (الوحيد فى التقليد) ،و (قرى البصر فى جميع المخالف من الأثر)، ذكر أنه أربعين مجلدة ، كما كان جد ابن النظر وهو (عبد الله بن أحمد) من العلماء ، فهو مؤلف (الابانة فى الصكوك ، والكتابة) فى أربع مجلدات ، و (الرقاع فى أحكام الرضاع) فى مجلدتين ، كما كان منهم الشيخ سليمان بن ذهل استاذ ابن النظر ، وكان ابن النظر عالما بسير العرب ، وأنسابهم وتواريخهم، وكان ضليعا فى اللغة ، وله شعر غزلى ، وبعضه فى النزعة (الاباضية) كقصيدة

---

(١) من بلاد عمان الداخلية على الطريق المؤدية إلى سمائل ونزوى من جهة المطرح .

(٢) السالمى : تحفة الاعيان ١/٣٥٤ .

(٣) كان قاضيا شاعرا له منظومات فقهية منها (الدعايم) ، وله شعر فى الاتجاه الاباضى .

الولاية ، ، والبراعة ، واللامية التى ارتجزها يفتخر بالاباضين ، وواضح أن كثرة هذه المؤلفات إما تاريخية ، أو فقهية .

ونحسب أن بنى نبهان كانوا على شىء من رغد العيش ، وطيبه ، وكانت حياتهم الخاصة ، ومجالس أنسهم على جانب كبير من اليسار ، وحسن المطعم ، والمشرب والحضارة والرفاهية ، حتى أن الستالى ليعتز بما أتوا من قوة ، ويمدحهم بما ملكوا من ثروة ، ومجالس أنس ، ولذة ، وطرب ، ويجعل ذلك أحد مصادر اعتزازهم ، وفخرهم ، وطيب محتدهم من مثل قوله يمدح أبا العرب يعرب بن عمر :

يا مجلس الأنس واللذات والطرب ... لازلت فى العز مغمورا وآمدى الحقب
وأسعد الله بالاقبال سيدنا ... تاج المفاخر والعليا أبا العرب

إلى أن يقول فيه :

يا سيد الناس طرآ وابن سيدهم ... شمس (العتيك) ملوك العجم والعرب
يهنيك شرب كميت اللون صافية ... ترى لها أكف القوم كاللهب (١)

وللحديث بقية

---

(١) ديوان الستالى ص ٣٢ ، والكميت : الخمر التى فيها سواد ، وحمرة ، والمصدر الكمتة وهو اسم لها .